✸ سورة التكاثر.

1) اسمها

التكاثر، وتسمى في بعض التفاسير: ألهاكم التكاثر، وتسمى أيضًا: سورة المقبرة، أخذًا من قوله: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، وإن كان هذا الاسم ليس مشهورًا ولكن ذكره الألوسي في روح المعاني.

2) أين نزلت؟

هي سورة مكيَّة.

3) عدد آياتها:

ثلاث آيات

4) محورها:

النهي عن تشاغل الناس عامة عن الاستعداد للقاء الله -عز وجل-، ونهيهم عن انشغالهم بما لم يُخلقوا من أجله، وأكثر ما يشتغل به الناس في حياتهم هو التكاثر.

فترى الإنسان عنده ما يكفيه من الدنيا من القوت، من الطعام، من الشراب، من السَّكن، فالذي يحمله على أن يعمل أكثر وترك عبادة الله وترك ما فيه منفعته ومنفعة العباد وما فيه الاستعداد لدار المعاد سوى أنه لا يريد أن يكون أقل من فلان وفلان.

وكلما جاءه ما يريد طلب المزيد، كما قال النبي ﷺ: ﴿لو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى إليهما ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على مَن تاب﴾.

فابن آدم فيه هذه الخصلة خصلة الطمع والتكاثر وليس التكاثر في الأموال؛ بل كل ما يشغل الإنسان عن الدار الآخرة.

فهذه السورة تُبيِّن لنا خطورة التكاثر علينا، وأننا ما خُلقنا من أجل أن نتكاثر، إنما خُلقنا من أجل أن نعمل لِمَا فيه منفعتنا في الآخرة.

5) مناسبتها لسورة القارعة

السورة التي قبلها قسمت الناس إلى قسمين: (من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ، مَن خفَّت موازينه فأمه هاوية).

وتخف موازينه عندما يشتغل بشيء لم يُخلق من أجله، ويكون همُّه فيما يشتغل به أن يُكاثر، فهذا هو سبب البلاء، وبهذا يخف ميزان الإنسان يوم القيامة، وبذلك نقول: هذه سورة واعظة للقلوب الحيَّة.

✸ تفسير الآيات:

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾

أَلْهَاكُمُ: أي أشغلكم أيها الناس عمَّا خُلقتم لأجله.

التَّكَاثُرُ: أي تكاثركم.

وأطلق، ولم يقل: "ألهاكم التكاثر بالأموال"، أو "ألهاكم التكاثر بالأولاد"، ليُبيِّن أنه يدخل فيها كل لون من ألوان التكاثر مما هو موجود عند نزول الآية ومما يوجد إلى آخر الدهر، يدخل في هذا الإطلاق، كل ما تتكاثر به أو تُكاثِر به غيرك مما لا ينفعك في الدار الآخرة، ولا يكون حجة لك بين يدي الله، ولا يكون قربة من القُرَب، فاعلم أنه مُلهٍ، وأنك تشتغل بشيء لا ينفعك وستندم عليه أشد الندم.

﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾

يعني حتى مُتُّم ثم دُفِنتم في مقابركم، وسمَّى الدخول في القبر زيارة لأنه سبيل للآخرة، وأن الذهاب إلى المقبرة والدفن فيها سيكون وقتًا يسيرًا بالنسبة لما بعده، ولم يقل: "حتى دفنتم في المقابر"، أو "حتى ذهبتم إلى المقابر"؛ وإنما اختار لفظ "الزيارة"، لأن الزيارة في العادة تكون وقتًا قليلًا.

وما رُويَ في بعض التفاسير أن حيَّين من قريش أو من الأنصار اختلفوا وتفاخروا، فحملهم تفاخرهم إلى أن يذهبوا إلى المقبرة ليقولوا: منَّا فلان، ويقول الآخرون: منَّا فلان من المقبورين هذا مذكور ويمكن دخوله في معنى الآيات، لكن ليس هو سبب نزول هذه الآيات، وليس هو المعنى بها بالدِّقة.

﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

كَلاَّ: هذه ردع وزجر لأنه جاء قبلها ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، يعني انتهوا عن هذا الذي تفعلونه، اتركوا هذا التكاثر الذي لا ينفعكم يوم أن تلقوا ربكم.

سَوْفَ تَعْلَمُونَ: تعلمون عاقبة تكاثركم وأنه لن ينفعكم ، وأن هذا التكاثر كان مشغلة وملهاةً أي تلهيتم به عمَّا خُلقت لأجله

﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

هذا تأكيد على أن الناس سيدركون حقيقة هذا التكاثر في الدار الآخرة.

قال بعضهم: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، أي عندما تدخلون قبوركم، ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عندما تبعثون بين يدي الله -عز وجل.

فهذا التكرار له أكثر من مكان، الأول في دار البرزخ، والثاني في الدار الآخرة.

﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ﴾

كَلاَّ: أيضًا ردع وزجر لهؤلاء، وهذا يدلنا على خطورة هذا الأمر الذي يتشاغل الناس عنه ولا ينتبهون له، وتذهب أعمارهم وهم غير ملتفتين له وهو أن التكاثر هو أكثر ما يقضي على أعمار الناس ويذهب بلبِّ حياتهم فلا ينتفعون بها في الدار الآخرة.

لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ:هذه الآية يظن بعض الناس عندا يقرأها أنها مرتبطة بالآية التي بعدها من حيث أن ﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ﴾ جواب لـ "لو".

يعني: لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم. فهذا ليس بصحيح .

فـ"لو" جاءت ولم يأتِ جوابها، ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ﴾ جوابها هو لَمَا تكاثرتم ، لَمَا ألهاكم التكاثر.

لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ:يعني: لو علمتم علم يقينٍ بأن رأيتم الجنة والنار، ورأيتم دار القرار، ورأيتم الجزاء والحساب، ما اشتغلتم بهذا الشيء الذي كنتم تشتغلون به، ولَمَا تكاثرتم بهذا الذي أشغلتم وألهيتم حياتكم به.

إذن "لو" جوابها محذوف للعلم به، وهذا أسلوب من أساليب القرآن وهو أن يُحذف جواب "لو" للعلم به أو لتهويل الأمر.

﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ﴾

هذا ابتداء قسم من الله -سبحانه وتعالى ، أي أقسم أنكم سترون الجحيم جميعًا.

لَتَرَوُنَّ: النون هنا للتوكيد، فجاءت مؤكدة مع القسم.

لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ :معناه:أنه إذا رأيتم الجحيم ورأيتم هول العذاب؛ عرفتم أنه لا ينفعكم ولا ينجيكم من ذلك الجحيم إلا انشغالكم بما تدرؤون به العذاب عن أنفسكم.

ثم يؤكد فيقول:

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ اليَقِينِ﴾

في تلك الحالة الخلق كلهم يذهلون ويصيبهم الفزع والرهبة العظيمة، ولا ينفعهم في تلك اللحظة إلا ما قربوه لربهم -سبحانه وتعالى.

➢ ماالفرق بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين؟

علم اليقين: هو ما تعلمه يقينًا بأنه واقع، فأنت تعلم الآن أن هناك قارة اسمها استراليا.

عين اليقين: هو أنه لورأيت تلك القارة بنفسك

حق اليقين: هو أنه إذا دخلت فيها

وهذه مراتب اليقين المذكورة في القرآن، علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ: يعني إذا رأيتموها عين اليقين عرفتم أن ما كنتم تتلهون به وتكاثرون غيركم به لن يكون نافعًا لكم في تلك اللحظة.

وقال ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ ولم يقلك "لترونها حق اليقين"، لأنه ليس كل مَن يراها يدخلها.

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

لَتُسْأَلُنَّ: قسم، أي والله لتسألن جميعًا عن النعيم.

وأطلق النعيم ولم يحدده بنعيم معين، أي يوم القيامة نسأل عن كل شيء أنعم الله به علينا، الصحة، الفراغ، الزوجة، الولد، الماء البارد، الهواء، الأمن، الوطن، النسب، الدين، اللغة، اللون، العين، الأذن، السيارة.

تُسأل عنه هل أديت شكره؟ هل قمت بما يجب لله فيه؟ هل استعملته في طاعة الله؟

قال النبي ﷺ: ﴿إن أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يُقال له: ألم نُصحَّ لك جسمك ونرويك من الماء البارد﴾

وقد ورد عن السلف خلاف في النعيم الذي يُسأل عنه الإنسان، لكن كل هذا خلاف يعتبر من باب اختلاف التنوع، وهو أمثلة لهذا النعيم. منهم مَن قال النعيم يعني الصحة، ومنهم مَن قال الطعام، ومنهم مَن قال الماء البارد، وغير ذلك مما ذكره السلف .

✹ سورة العصر.

هذه السورة سورة قصيرة لكنها عظيمة قال فيها الإمام الشافعي: "لو ما أنزل الله على خلقه حجة إلا هي؛ لكفتهم"، ولو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم. لأنها اشتملت على الأسباب المنجية من الخسران، فمن أراد أن ينجو من الخسران فلينظر إلى أسباب النجاة من الخسران في هذه السورة، ولذلك كان السلف -رضوان الله تعالى عليهم- يتعاهدون في مجالسهم، فيقرؤونها في مجالسهم لأن الإنسان يتذكر بها الأسباب التي ينجو بها من النار، ولن ينجو إلا بأربعة: (إيمان مبني على علم ، وعمل صالح ، وتواصٍ بالحق يوصي بعضهم بعضًا بالحق يأمرهم بالمعروف ينهاهم عن المنكر ، وتواصوا بالصبر) ، فمن عمل بهذه الأربعة نجا من النار، ومَن قصَّر أو فرَّط فيها أو في بعضها فهو على شفا هلكة.

1) اسمها:

تسمى سورة "العصر"، أو "والعصر"

2) أين نزلت؟

هي سورة مكية

3) عدد آياتها

ثلاث آيات.

4) محورها:

أسباب النجاة من الخسران، فهي سورة جامعة من أراد أن ينجو من الخسار، وأن ينجو من النار.

5) مناسبتها لسورة التكاثر

ذكر في سورة التكاثر سبب من أسباب الخسران وهو تكاثر الناس بما لم يُخلقوا من أجله، وأن هذا خطير عليهم، فجُمع هنا ما ينجي الإنسان من الخسار كله وهو الإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

✸ تفسير الآيات

﴿وَالْعَصْرِ﴾

افتُتِحَت هذه السورة بالقسم، فأقسم الله بالعصر

واختلف فيه هل المراد به العصر الذي هو الوقت المعروف من النهار، الذي هو آخر النهار؟ أو العصر بمعنى الزمن؟

قولان مشهوران عند المفسرين، والظاهر أن القسم هنا بالزمن، لأنه هو محل النجاة ومحل الخسار، هو محل العمل الذي تكون به النجاة من الخسران.

فأنت إذا أردت أن تنجو من الخسران عليك أن تستثمر هذا الزمن في الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾

الإنسان تحتمل أن تكون يُراد بها الكفار وحدهم ويراد بها العموم.ولكن هنا المراد به جميع الناس لأنه قال: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ﴾، فلما قال: ﴿إِلاَّ﴾، عرفنا أن الإنسان هنا عام، لأنه لو كان الإنسان الكافر ما صحَّ الاستثناء، يعني "إن الكفار لفي خسر إلا الذين آمنوا" ، إلا أن يحمل على أنه استثناء منقطع، والاستثناء هنا بمعناه المعروف.

لَفِي خُسْرٍ: أي في خسارٍ وهلاك.

مَن الذي ينجو يا رب؟ قال:

﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

أي تحققوا بالإيمان ، والإيمان كما يعرفه أهل السنة: اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان.

هذا الاعتقاد لابد أن يكون مبنيًّا على علم، أنت تعتقد ، ليس المقصود أن تعتقد أن الليل قد حضر، وأن النهار سيأتي، إنما على شيء تعتقده يصح فيه البلاء، وهو الشيء الغائب عنك.

ولذلك أول ما وُصف به المؤمنون المتقون في القرآن في قوله -عز وجل: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ، لأن أركان الإيمان كلها مبنية على الغيب، وبها يحصل البلاء، لأنه لو كان شيئًا مشاهدًا ما أنكره الناس، إنما يُنكر الناس شيءٌ غاب عن أعينهم، جاء الصادق فأخبرهم عنه، منهم مَن يُكذِّب بهذا الصادق، ومنهم مَن يؤمن به.

إذن الإيمان مبناه هو العلم، ولذلك نقول: العلم مدلول عليه بقوله: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فلا يمكن للإنسان أن يؤمن إيمانًا صحيحًا، ولا أن يعتقد اعتقادًا صالحًا إلا أن يكون عنده علم نافع، وهو العلم الذي جاء به الوحي وأنزله الله -سبحانه وتعالى- على الرسل في الكتب أو عبر الوحي إليهم.

إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا: إيمانًا صحيحًا.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

لم يكتفوا بمجرد الاعتقاد؛ بل قرنوا الاعتقاد بالعمل، ووصف العمل بأنه ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ لأنه ليس كل عمل ينفع الإنسان لينجو من الخسران؛ بل

الذي ينجي الإنسان من الخسران هو العمل الصالح، والعمل لا يكون صالحًا حتى يتوفر فيه أمران:(أن يكون خالصًا لله –عز وجل ، وأن يكـن عـلى هدي رسول الله ﷺ.) ، ولذلك يوصف العمل دائمًا في القرآن بقوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، يعني عملوا الأعمال الصالحات التي يقبلها الله وهي مـا توفر فيها هذا الشرطان الرئيسان.

ثم جاء بالوصف الثالث قال:

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾.

تواصوا صيغة تفاعل وهي تدل على أن كل واحد منهم يقوم بما يجب عليه في إيصاء الآخرين بالحق، فأنا أوصيك بالحق وأنت توصيني بالحق، تركًا أو فعلًا، أوصيك بالحق في فعل الصلاة، ولذلك لا ينجو الإنسان إلا بالتواصي ، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَـنِ الْمُنكَـرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ، ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون الذي ظفروا بالمطلوب، فلا بد أن يوصي كل واحد منا صاحبه بالحق، الحق يعني الهدى والخير والإيمان والطاعة.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

وَتَوَاصَوْا : أي وصَّى بعضهم بعضًا بالصبر. والصبر جاءت مطلقة، فيشمل :

- الصبر على الحق: أوصيك بالصبر على الصلاة، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾.
- الصبر على التواصي بالحق: لأن التواصي بالحق أمر صعب، ولذلك جاء في وصايا لقمان: ﴿يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ ، قال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ بعد قوله ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ ، لأن الذي يأمر بالمعروف وينهـى عـن المنكـر لابد أن يناله من الخلق شيء من المكروه، وهذه قاعدة.
- الصبر على أقدار الله المؤلمة: تصبر على ما يأتيك من مُرِّ القضاء ومن حرِّ البلاء، موت عزيز، ذهاب مال.

- سورة الهمزة.

1) أين نزلت؟

سورة مكيَّة

2) عدد آياتها

تسع آيات بغير خلاف

3) محورها

يدورحول لونٍ من ألوان الخسار، منها: همز الناس ولمزهم، والاعتداد بالمال، والسخرية بالخلق. تفسير الآيات

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.

وَيْلٌ: فيها قولان:

الأول:أنه وادٍ في جهنم.

الثاني: أنها كلمة تهديد وعذاب ووعيد، وهذا أظهر وأقرب إلى الدلالة اللغوية خصوصًا وأن المعنى الآخر لم يرد فيه أحاديث صحيحة.

فنقول: تهديد شديد : ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، يعني همَّاز لمَّاز.

➢ اختلف المفسرون فيمَن هم الهمزة ومَن هم اللمزة:

❖ منهم من قال: الهمزة: المغتاب الذي يغتاب الناس ، واللمزة: الطعَّان الذي يطعن فيهم، فلان طويل، قصير، غبي.

❖ ومنهم مَن قَلَب، فقال: الهمزة: هو الطعَّان ، واللمزة: هو المغتاب.

❖ ومنهم من قال: الهمزة: الذي يهمز الناس بيده ، واللمزة: الذي يسخر منه بلسانه.

السخرية باليد تسمى همزة، يعني لو مرَّ بك إنسان وأشرت إلى أنه هكذا -يعني عقله خفيف- هذا يسمى همزة.

واللمزة باللسان، كما قال الله -عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: 79].

وعلى كلٍ على أيِّ الأقوال قلنا، الهمزة واللمزة تُطلق على العيَّاب الطعَّان المغتاب الذي يسخر من الناس بلسانه ويده، سواء قلنا المعنى هذا لهذه اللفظة أو لتلك اللفظة، في النهاية هاتين اللفظتين تُطلق على كل هؤلاء الذين يحملون هذه الأوصاف.

➢ ما الذي يحمل هؤلاء على أن يهمزوا الناس ويلمزوهم ويسخروا منهم؟

كِبرٌ في قلوبهم يحملهم على احتقار الخلق وذمِّهم والطعن فيهم، فليس له همٌّ إلا أن يطعن، وليس له شغل إلا أن يعيب، ويؤذي الناس بلسانه وبحركاته، وإشارات يده وعينه وخده ووجهه.

وهذه سورة متخصصة في بيان عقوبة هؤلاء الخاسرين الذين يسخرون من الناس ويتكبرون عليهم.

والكبر هو كما قال رسول الله ﷺ ﴿الكبر هو بطر الحق وغمط وفي رواية أخرى: غمص الناس﴾ ،﴿غمص الناس﴾ يعني استصغارهم احتقارهم.

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾

هذا هو سبب الغمص، وسبب الهمز واللمز، لأن عنده مالا كثيرا ، وتحمله على أن يفخر على فلان وأن يتعالى على هؤلاء الخلق، هذا فيه، وهذا ما فيه.

﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾

يظن أن هذا المال هو مصدر القوة العظمى، وأنه سيمنع عنه الموت، وأن سيجلب له الخير والسعادة، وأنه سيجعله أعلى من بقية الخلق.

ولذلك يرى أن هذا المال هو سبب أو سر هذا الوجود، وهو سبب العلو في الأرض، فهو يتعالى على الناس كلهم، مثل ما ضرب الله لنا المثل بالرجلين في سورة الكهف لما قال: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنقَلَباً﴾]، فكثرة المال والاغترار به جعله يغيِّر حتى التصورات والاعتقادات إلى أنه لو بعث في الآخرة سيكون مآله الجنة، انظر إلى أي درجة من درجات الانشغال العظيم بهذا المال، والتغيُّر الداخلي للقلب بسبب أن الإنسان ركن إلى هذا المال الذي بيده.

يَحْسَبُ: أي يظن. ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾.

قال الله منكرًا عليه:

﴿كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾

كَلاَّ :ليس الأمر كما تعتقد ، ردع وزجر عن الهمز واللمز، وجمع المال وتعداده والركون إليه والظن أنه سبب للخلود، بل الذي سيحصل ما يلي:

لَيُنْبَذَنَّ: أي ليُطرحنَّ طرحًا من غير مبالاة، النبذ هو: الإلقاء من غير مبالاة.

لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ: أي ليُلقينَّ في النار التي تحطم مَن يُلقَى فيها.

الحُطَمَةِ: هذا هو الاسم الذي ورد مفردًا في القرآن ولم يتكرر في سورة أخرى، وسميت النار حُطمة لأنها تحطم مَن يُلقى فيها، لا تبقي فيه شيئًا من شدة حطمها له، يعني تكسر عظامه وتحطِّم لحمه وتحرق جلده، وتدخل جوفه ولا تبقي فيه ولا تذر، ما تدع فيه شيئًا إلا أوصلت إليه العذاب.

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾

أي شيء هذه الحطمة؟ إنها شيء مهول عظيم، وهذا أسلوب من أساليب التهويل والتفخيم والتعظيم للشيء

﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾

يبيِّن ما هي الحطمة، أنها نار الله، وإضافة النار إلى الله من باب التفخيم والتهويل؛ لأن الشيء يُنسَب إلى الله -سبحانه وتعالى- إما أن يكون من صفاته كما يُقال: يد الله، وجه الله. وإما أن يكون من مخلوقاته، كما يُقال: بيت الله، وناقة الله، نار الله. فما تُنسب إلى الله إلا لفخامتها وهولها وعظمها، وإلا فكل شيء في الكون هو لله -عز وجل- لكن ما نسبت إليه إلا لتفخيمها.

وهنا ما قال: "نار الرب الموقدة" لأن الرب يقتضي التربية والإنعام والعطف والرحمة. قال: ﴿نَارُ اللَّهِ﴾، ذو الهيبة والجلال الذي ينتقم من هؤلاء الذي يحتقرون الناس ويعتدون بالأموال.

الْمُوقَدَةُ: التي أوقدت، أوقد عليه ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام حتى أصبحت كما هي عليه سوداء مظلمة.

﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾

النار تطلع على الأفئدة ، لأنها تنفذ إلى داخل أجوافهم حتى تصل إلى قلوبهم، ما تكتفي بـ ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾ ، لا تكتفي بالجلود؛ بل ينفذ عذابها وحرَّها إلى الأفئدة

وخصَّ الأفئدة في هذه السورة ولم يقل: "يعذبهم الله بها، يحرق أجسادهم بها"، لأن الهمزة واللمزة مشكلة أصلها قلبية، يعني السخرية بالناس والاستصغار لهم يحمل الإنسان على أن يعيبهم ويحتقرهم ويؤذيهم بلسانه.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾

يظن ظنًّا قلبيًّا أن ماله سيُخلده، إذن هذه ذنوب قلبية تستحق عذابًا يصل إلى أفئدتهم، وهذا من عدل الله -عز وجل- أن العذاب يذهب إلى المكان الذي صدر منه الكفران والجحود والبلاء.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾

إِنَّهَا :أي النار.

عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ :أي مطبقة، لا يستطيعون الخروج منها ولا الانفكاك عنها.

﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾

فِي عَمَدٍ: فيها قولان:

- القول الأول: قيل هي متعلقة بمقدر مأخوذ من اللام السابق أي يُعذبون في عمد فأهل النار يوضعون في عمد تخترق أجسادهم وأجوافهم حتى يشتد عليهم العذاب، فهم يُصلون بالنار صليًا
- القول الثاني: قيل هذه الأبواب أو هذه النار مؤصدة، والإيصاد في عمد يعني كأنه قال: "مؤصدة بعمد ممددة"، أي مطبقة عليهم إطباقًا بعمدٍ ممددة بحيث لا يستطيعون الخروج من أبوابها.

إما أن يقال هذا، وإما أن يقال هذا، وكلا المعنيين تحتمله الآية

✹ سورة الفيل.

1) اسمها

سورة الفيل

2) أين نزلت؟

سورة مكيَّة بالإجماع ، وهي تشير إلى حادثة وقعت في العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ عندما أراد أبرهة أن يصرف الناس عن الحج إلى بيت الله الحرام وإلى الكعبة المشرفة ليذهبوا إلى البيت الذي بناه وسمَّاه القُلَّيس، وغار من هذه الكعبة فجاء يريد هدمها فانتقم الله –سبحانه وتعالى– منه.

3) عدد آياتها

خمس آيات بلا خلاف بين العادِّين.

4) مناسبتها لسورة الهمزة

إن هؤلاء الذين وعدوا بالعذاب في الآخرة بسبب خسارهم وفعلهم لأسباب الخسار يمكن أن يعجل لهم العقوبة كما عجلها لأصحاب الفيل، وأن اعتدادك بالمال واعتدادك بالقوة لن ينفعك، ولا تظن أن الله يجعل عقوبتك مُدَّخرة في الآخرة فقط؛ بل قد تكون العقوبة معجلة كما حصل لأبرهة الذي اعتمد على قوته وغرَّه ماله، وغرَّه الفيل الذي يملكه وليس معروفًا عند العرب، جاء بهذا الفيل يُخيف العرب به، وظن أنه بهذا يستطيع يفعل ما لا يفعله أحد سواه.

5) محورها

بيان الله –عز وجل– أن العقوبة تكون معجلة لم اغترَّ بقوته وما عنده من مال وعتاد وجيوش، وغير ذلك.

✹ تفسير الآيات

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾

أَلَمْ تَرَ: هذا استفهام تقريري، أي قد رأيت. لكن الرؤية هنا علمية، لأن النبي ﷺ وُلِد في ذلك العام، فهو لم يرَ لكنه علم؛ لأن الناس قد نقلوا هذا الخبر إليه بالاستفاضة، وهو مشاع عند العرب ويعرفه الناس جميعًا ولا يختلفون فيه.

كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ: اختار قوله ﴿رَبُّكَ﴾، لأنه فيه لون من ألوان التربية للناس، فهو لما فعل ذلك بهم كان ذلك رحمة بأهل مكة، وكان ذلك حماية لبيته المعظم، وكان ذلك آية ودلالة على أن الله –سبحانه وتعالى– يحمي بيته وعبده وجنده من أن يعتديَ عليهم أحد، وينتصر لهم بأسباب ليست بأيديهم، فهذا المتكبر المتجبر الذي جاء يريد أن يحطم بيت الله؛ الله وحده قادر على أن ينتقم منه، وأن يخلص عباده من شره.

بِأَصْحَابِ الْفِيلِ: الكفار ينسبون للبهائم، "أصحاب الفيل"، لكن في سورة الكهف قال الله –عز وجل ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ، نسب الكلب إليهم، ولم ينسبهم إلى الكلب، ما قال: "أصحاب الكلب".

وهنا يقول: ﴿بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾. لأن الفيل خير منهم، فهم أصحاب له، وليس هو صاحب لهم ، فالفيل مطيع لله –عز وجل–، قائم بما خلقه الله له، أما هم فلم يقوموا بما خلقهم الله من أجله، ولذلك نسبهم إليه ولم ينسبه إليهم.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾

ذاك الكيد العظيم الذي كادوا به بيت الله –عز وجل– والتخطيط الضخم الذي فعله أبرهة كدولة عظمى من دول المنطقة، وجاء يريد أن يرعب

العرب وأن يبسط هيمنته على الجزيرة العربية ، جعله في تضليل أي في خسارٍ وهلاك.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ﴾

أرسل على أبرهة وجنده طيرًا من السماء، ولا أحد يعلم من أين جاءت.

أَبَابِيلَ: أي فِرَق مجتمعة ومتتابعة يتبع بعضها بعضًا، تحمل في أيديها حجارة ترمي بها هؤلاء، وهذه تدل على أن أفضل أنواع المقاتلة للآخرين عبر الرمي وعبر الطيران.

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾

أي من طين.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾

فَجَعَلَهُمْ: أي جعل هؤلاء المستكبرين الذين يريدون ببيت الله سوءًا.

كَعَصْفٍ: أي كورق شجر قد يبس.

مَّأْكُولٍ: أي قد أُكِلَ وديس، داسته البهائم.

والعادة أن العصف من التبن والورق، ورق الشجر إذا داسته البهائم يصبح متهشِّم ومتكسِّر تكسرًا شديدًا، فتجده ذرات متفرقة، فهذا وصف الله لهم ماذا حصل لهم بعد هذه العقوبة الإلهية.